الفصل الأول

السينما المصرية منذ نشأتها

حتي عام ١٩٥٢

اختلف مؤرخو السينما المصرية فى تحديد نشأتها [١] خاصة وأن بداياتها الحقيقية تبناها الأجانب المقيمون بالأسكندرية والقاهرة ، والذين شجعوا على تنظيم العروض السينمائية فى مصر مع بداية اختراع السينما على يد شركة « لوميير » [٢] الفرنسية فى أوائل ١٨٩٦ .

---

(١) ذكر بعضهم أن أول عروض سينمائية حدثت فى الأسكندرية كانت فى السادس من يناير ١٨٩٦ وفى القاهرة فى ٢٩ يناير من نفس العام .

عبد المنعم سعد : موجز تاريخ السينما المصرية ص ٧ .

وقد علقت جريدة المؤيد على ذلك فى عددها بتاريخ ٢٩ يناير ١٨٩٦ بقولها « اجتمع لفيف من علية القوم وأبناء الأفاضل ، وأفراد الطبقة المتعلمة المستنيرة فى مكان عرضه سته أمتار ، وطوله عشرون متراً ، وجلسوا على كراس كما يحدث تماما فى المسارح ليشاهدوا هذا الاختراع العجيب الذى جاء من الدنيا الجديدة الذى يسمونه بالأعجمية « سينما توغراف » أو بالتعبير العربى الفصيح « خيالة » وقد بدأت مشاهدة هذا الاختراع العجيب فى مغرب أمس بعد أن بدأ الظلام يخيم على المكان . فرفعت جميع الكلوبات وصار المكان ظلام دامسا ، وفجأة سمعنا صوت الآلة يتحرك ... ثم خرج من هذه الآلة شعاع أبيض تركز على قطعة قماش بيضاء كانت أمامنا ونحن جلوس وإذا بنا نرى أشخاصاً يتحركون أمامنا ويروحون ويجيئون . » كما علقت جريدة الأهرام على اختراع السينما ووصفت المناظر التى يمكن رؤيتها عن طريق ذلك الإختراع ، وإن كانت لم تشر إلى تاريخ أول عرض سينمائى فى مصر . أنظر الأهرام عدد الخميس ١٣ فبراير ١٨٩٦ تحت عنوان « التصوير الجديد » وأيضا عدد ٢٣ ابريل ١٨٩٦ .

(٢) أقام المصوران الفرنسيان لوميير أول عروضهما السينمائية فى ٢٨ ديسمبر ١٨٩٥ فى مقهى الجراند كافيه بباريس لقاء فرنك واحد للفرد .

ومع أن مصر عرفت فن السينما فى وقت متقارب جداً مع الوقت الذى عرفته فيه أوربا فان ذلك لا يعنى أن الانتاج السينمائى قد بدأ فى مصر مع بدايته فى أروبا وإنما كل ما حدث هو أن الأجانب استقدموا الأشرطة السينمائية من أوربا ، وشجعوا على عرضها فى المقاهى والصالات المصرية وبمعنى آخر فان العروض السينمائية التى عرضت فى مصر فى اواخر القرن الماضى كانت محاولات أوربية (١) وليست مصرية وانها استوردت جاهزة للعرض ، ولم تنتج فى مصر أو تصنع فيها (٢) وكانت الأسكندرية أسبق من القاهرة فى عرض الأشرطة السينمائية خاصة وأن نسبة الأجانب بها كانت أكبر من القاهرة لذلك بدأت العروض بها فى الخامس من نوفمبر ١٨٩٦ باحدى صالات بورصة طوسون باشا (٣) بينما لم يتم عرضها بالقاهرة إلا فى الثامن والعشرين من نوفمبر من نفس العام (٤) بصالة حمام شنيدر بميدان حليم باشا بحى الأزبكية .

وكان رسم الدخول للمشاهدين من الكبار خمسة قروش وللأولاد قرشين (٥) .

---

(١) عرفت مصر أول دور عرض سينمائى فى عام ١٨٩٦ بمدينة الاسكندرية ، وكان فيلما فرنسيا قصيرا .

الهلال فى نوفمبر ١٩٦٦ دراسة للأستاذ جلال الشرقاوى تحت عنوان تاريخ السينما المصرية ص ٣٨ .

(٢) لم تكن هناك ستديوهات فى ذلك الوقت بل كانت تلتقط الأفلام فى الشوارع والحدائق والشواطئ والمصانع ، وكان المصور يقوم بمهام المخرج والمدير الفنى والمصور وخبير الطبع والتحميض .

(٣) انتقلت العروض السينمائية بعد ذلك إلى شارع محطة مصر بعد افتتاح سينما توغراف ليميير . انظر الأهرام فى ١٣ يناير ١٨٩٧ .

(٤) المؤيد : عدد الأثنين فى ٣٠ نوفمبر ١٨٩٦ والمقطم عدد الثلاثاء فى أول ديسمبر ١٨٩٦ .

(٥) أحمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن جـ٢ ، القاهرة ، مطبعة مصر ١٩٣٦ ص ٢٣٢ تحت عنوان « السينما فى مصر » .

ونظر لارتفاع قيمة الاسعار بالنسبة لذلك الوقت فقد تم تخفيضها بعد ذلك الى النصف .

ومن يستعرض العروض السينمائية التى قدمت خلال هذه الفترة يتضح أنها كانت فى مجملها عُروضاً لمناظر وأحداث واقعية تتعرض فى معظمها لمظاهر الحياة والحضارة الأوربيةوأبرز الأدلةعلى ذلك مشاهد « ميدان الأبرا فى باريس » ورقصة « الكان كان » و « صائدات الجمبرى » و « المصارعون » و « الأمواج » و « لحظة دخول القطار » والطريف فى الأمر أنه عند عرض فيلم الأمواج وظهور أمواج البحر مندفعة وكأنها تقترب من المشاهدين ترك الجالسون فى الصفوف الأمامية أماكنهم هاربين من مقاعدهم خشية أن تبتل ملابسهم ، وحدث نفس الشئ تقريباً فى فيلم « لحظة وصول القطار » فعندما ظهرت صورة وصول القطار إلى إحدى المحطات بباريس فزع المشاهدون وهم يرون القطار يقترب منهم فتركوا أماكنهم فزعين .

وبعد أن حضر الى مصر مصور فرنسى من شركة « ليمير » لتصوير بعض معالمها بدأت مظاهر الحضارة المصرية القديمة ، ومشاهد الحياة فى مصر الحديثة تبرز فى مجال السينما خاصة بعد تصوير ٣٥ شريطا عن مصر كان منها « قناطر النيل » و « الحمير فى سقارة » و « ميدان المحكمة المختلطة » (العتبة الخضراء) و « السياح على ظهور الجمال فى الأهرام » .

وقد برز اليهود فى هذا الميدان وشاركوا فى تدعيمه ، واستطاعوا أن يفرضوا أنفسهم على دور العرض منذ ذلك الوقت المبكر فى تاريخ السينما المصرية وكان أبرز هؤلاء « توجو مزراحى » الايطالى الأصل والذى عمل يالأخراج والانتاج [١] « وجوزيف موصيرى » الذى أسس شركة « جوزى

= بينما تذكر الأهرام أن رسم الدخول للرجال كان أربعة قروش فقط انظر الأهرام فى ٩ نوفمبر ١٨٩٦ .

(١) أحمد الحضرى : تاريخ السينما فى مصر جـ١ ، القاهرة ، مطبوعات دار السينما ١٩٨٩ ، ومن أبرز الأفلام التى دعم بها مزراحى صناعة السينما فى مصر فيلم « تحت ضوء القمر » .

فيلم » التى أقامت عددا من دور السينما فى مصر ، والكسندر ابتكمان الذى أنتج العديد من الأفلام المصرية [١] وربحت شركته أموالاً طائلة خاصة وأن هدفها كان الوجهة التجارية ، ولا يعنى اصحابها من الفيلم سوى كونه سلعة تجارية تدر الأرباح الوفيرة عليهم ، وكونه مجرد أداة للتسلية واللهو .

ومعنى ذلك أن نشأة صناعة السينما فى مصر ارتبطت بالأجانب أكثر من ارتباطها بالقاعدة المثقفة من أبناء مصر ، كما أنها ارتبطت بالوجهة التجارية أكثر من ارتباطها بما ينفع الناس ويملأ حياتهم بالفن والفكر والمعرفة ، ويصقل ارتباطهم بوطنهم .

وظل النشاط السينمائى فى مصر مقتصراً على الأجانب وخاصة الايطاليين [٢] لفترة ثم قل دورهم وتضاءل خلال الحرب العالمية الأولى خاصة وأن معظمهم ترك مجال السينما ، وهاجر إلى بلاده [٣] وفى أعقاب ذلك اقتحم مجال السينما وبمبادرات فردية بعض من ابناء مصر يتسابقون فى هذا الميدان ويشاركون الأجانب الذين تربعوا على عرشه فتكونت بالاسكندرية فى عام ١٩١٧ شركة سينمائية ايطالية مصرية مشتركة لانتاج أفلام طويلة . وتعاقدت هذه الشركة مع بنك روما لامدادها بالأموال . وكان الهدف منها تجاريا بحتا [٤] . وقد أنتجت هذه الشركة ثلاثة أفلام تم عرضها جميعاً

---

(١) من أبرز هذه الأفلام اليد السوداء ، وابن الشعب .

(٢) كون الايطاليون شركة باسم « سيت شيا » وانشأوا استوديو ضم بين جدرانه الآلات الحديثة .

(٣) استمرت دور العرض السينمائى فى مصر فى فتح أبوابها ، وعرض الأفلام الروائية الطويلة التى كانت تصلها من فرنسا وايطاليا وغيرها هذا الى جانب الأفلام القصيرة المتنوعة .

(٤) أحمد المغازى : الصحافة الفنية فى مصر نشأتها وتطورها ١٧٩٨ - ١٩٢٤ القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٨ ص ٣٠٣ .

بالاسكندرية وهم « شرف البدوى » و « الزهور القاتلة » و « نحو الهاوية » وقد شارك الممثل المصرى محمد كريم [١] فى تمثيل الفيلمين الأولين [٢] اللذين عرضا فى سينما (شانت كلير) بالاسكندرية فى عام ١٩١٨ ولكن سرعان ما توقفت الشركة عن الإنتاج وأفلست [٣] نتيجة لرداءة المستوى الفنى لهذه الأفلام ، وعزوف الجمهور عنها خاصة ، وأنها كانت صامته ، والفيلم الصامت لم يرض مزاج الجمهور المصرى [٤] .

ورغبة فى العنصر الوطنى فى اجتذاب الجمهور إلى السينما ، وتشجيعه على الاقبال عليها هجر بعض الممثلين خشبة المسرح واتجهوا إلى السينما ، ووجهوا صناعتها نحو الفيلم الفكاهى الاستعراضى المفضل لدى الجماهير فقامت فرقة « فؤاد الجزايرلى » التى كانت تعمل بأحد المسارح بحى الحسين بتمثيل فيلم سينمائى بعنوان « لوريتا [٥] » أخذت فكرته من مسرحية فكاهية كانت تقدمها الفرقة ، ولكن هذه التجربة لم يقدر لها النجاح خاصة

---

(١) من المعروف أن محمد كريم كان صديقا ليوسف وهبى ، وانهما اشتريا معا آلة عرض سينمائية صامته خصص لها غرفة فى منزله غطى حيطانيها بصور لبطلات الأفلام الصامته انظر مذكرات عميد المسرح يوسف وهبى جـ١ ، القاهرة ، دار المعارف ١٩٧٣ ص ٣٨ .

(٢) ألح محمد كريم على طلب التمثيل فى هذين الفلمين ، ولكن المخرج الايطالى عارض فى ذلك فى أول الأمر ، ونتيجة لالحاح محمد كريم واثبات اجادته للايطالية وتصميمه سمح له المخرج بالتمثيل فكان أول مصرى يقف امام الكاميرا .
انظر الهلال : المقال سابق الذكر ص ٣٩ .

(٣) قام الايطالى المتمصر الفيزى اورفانيللى بشراء معدات هذه الشركة المفلسة باثمان بخسه . نفسه .

(٤) سعد الدين توفيق : قصة السينما فى مصر ، القاهرة ، كتاب الهلال ، اغسطس ١٩٦٩ ص ٩ ، ١٠ .

(٥) اخرج هذا الفيلم المخرج الايطالى « لاريكى » وعرض فى سينما الكلوب المصرى.

وإن الفيلم كان صامتا ومع ذلك لم تتوقف محاولات اعتماد السينما على المسرح رغبة فى اجتذاب جمهوره اليها ، ففى عام ١٩٢١ تم انتاج فيلمين قصيرين هما « الخالة الأمريكانية » و « الخاتم السحرى » وقد مثل فى الفيلم الأول الثنائى المسرحى « على الكسار » و « أمين صدقى » ومعهما « الفريد حداد » وقصة هذا الفيلم مأخوذة من مسرحية اسمها « العمة شارلى » وقد عرض هذا الفيلم فى مكان مسرح ريتس الذى كانت تعمل به فرقة الريحانى [١] .

أما الفيلم الثانى فقد شارك فى تمثيله فوزى منيب وجبران نعوم وعرض فى عام ١٩٢٢ . وفى عام ١٩٢٣ قام السينمائى المصرى محمد بيومى [٢] الذى عاد من المانيا ومعه بعض المعدات السينمائية ، وبعض المعلومات عن صناعة فن السينما والإخراج بإنشاء ستوديو ، واقامة شركة سينمائية فى الاسكندرية انتجت افلاما اخبارية قصيرة كحركة السفر فى محطة سيدى جابر ، ومراحل انشاء مبنى بنك مصر ومشاريعه وشركاته ، وعودة سعد زغلول من المنفى ومعرض زهور فى سان ستيفانو ، وموكب الكسوة وسفر المحمل ، وخروج المصلين من كنيسة سانت كاترين فى جريدته السينمائية ، وقيامه أيضاً بانتاج فيلم قصير عن مسرحية « الباشكاتب » التى كانت تعرضها فرقة أمين عطا الله المسرحية ، وقد شارك فى بطولة هذا الفيلم بشارة واكيم ، وعلى طيخات ، وادبل ليفى . والذى يعنينا فى هذا الفيلم أن قصته تركزت على موظف حكومى كان يسرق من الخزينة المسئول عنها

---

(١) المغازى : مرجع سابق ص ٣٠٤ - ٣٠٥ .

(٢) من أبرز رجالات السينما المصرية قبل انشاء ستوديو مصر ويعده البعض الرائد الحقيقى للسينما المصرية فى مصر خاصة وانه أول مصرى يقف وراء آلة التصوير السينمائى مصورا ومخرجا ، كما أنه أول مصرى يقدم جريدة اخبارية سنيمائية هى جريدة آمون ، وأول مصرى يقوم بتصوير فيلم روائى طويل .

الحضرى : مرجع سابق ص ١٨١ .

لينفق على ملذاته وغرامياته . وكانت مدة هذا الفيلم ثلاثين دقيقة وتكلفته حوالى مائة جنيه ، وقد نجح هذا الفيلم نجاحا كبيراً لدرجة أن أمين عطا الله كرر هذه التجربة فاخرج فيلما آخر بعنوان « البحر بيضحك ليه » وقام بعرضه فى لبنان .

وإلى جانب ذلك فقد أخرج محمد بيومى فيلما استبدل فيه شخصية شارلى شابلن الأمريكية بالمعلم برسوم المصرى وأسماه « المعلم برسوم يبحث عن وظيفة » وقد قام بشارة واكيم بدور البطولة فى هذا الفيلم وشاركته فيها فردوس محمد [١] وفكتورياكوهين ، يضاف الى ذلك قيامه باخراج فيلما روائياً طويلاً عن عظمة الحضارة المصرية عنوانه « فى بلاد توت عنخ أمون » وقد تم عرضه بالقاهرة والأسكندرية [٢] فى يوليو ١٩٢٣هذا إلى جانب قيامه باخراج جريدة أمون التى لم يصدر منها سوى ثلاثة أعداد صدر فى إحداها عودة سعد زغلول من المنفى وخلال تلك الفترة أثار محمد كريم اهتمام الجمهور بالدعوة فى الجرائد اليومية إلى إنشاء شركة مصرية للسينما موضحاً ما فى ذلك من فوائد مادية وأدبية ولم تكن الأذهان قد تهيأت بعد لمثل هذه الفكرة [٣] فقد هاجر إلى إيطاليا وألمانيا لفترة عاد بعدها إلى مصر بصحبة يوسف وهبى مدير مسرح رمسيس ليواصلا العمل من أجل الدعوة لهذا المشروع .

ونتيجة لشعور المسئولين عن شئون التعليم فى مصر بأهمية ادخال السينما كوسيلة تعليمية يمكن للطلاب عن طريقها استيعاب دروسهم بشكل أوضح فقد قررت وزارة المعارف المصرية ادخال التعليم بالسينما فى

---

(١) المغازى : مرجع سابق ص ٣٠٥ .

(٢) الحضرى : مرجع سابق ص ١٩١ .

(٣) المجلس الأعلى للثقافة : زينب الأديب هيكل ، القاهرة ، ١٩٩٦ ، ص٣٠-٣١ .

مدارسها على اختلاف درجاتها وذلك عن طريق تدريس الأحياء والتاريخ والجغرافيا بالسينما [١] فتم اخراج عدة شرائط مصورة عن حياة النبات والحيوان وعن بعض الصناعات الدقيقة ، كما تم اخراج عدة شرائط مصورة تمثل سير أقطاب العلم وإكتشافتهم العلمية ، وكان أول شريط من هذا النوع يمثل حياة الطبيب الفرنسى « لويس باستير » الذى ساعدت تجاربه واكتشافاته العلمية على تقدم الطب .

وتلا ذلك اخراج شريط آخر عن حياة « فلورانس نيتنجيل » التى قضت حياتها فى خدمة المستشفيات والعناية بالمرضى وشريط آخر عن « الفريد نوبل » مخترع الديناميت السويدى الشهير وصاحب جائزة نوبل .

وفى أعقاب ذلك نزلت عزيزة أمير إلى ميدان السينما [٢] فبرزت فى ميدان التمثيل ، واستطاعت تأسيس أول شركة مصرية للإنتاج السينمائى من مالها الخاص فى عام ١٩٢٦ باسم « ايزيس فيلم » كما تمكنت من اخراج أول فيلم مصرى روائى طويل باسم « ليلى » تم عرضه بدار سينما متروبول فى يوم الأربعاء ١٦ نوفمبر ١٩٢٧ [٣] وهو يعالج موضوعا ينقل مشاهده بين الضحك والبكاء ، وهو يرى النيل ومفاتنه ، والمنازل والقصور المصرية الحديثة واناقتها فى محاولة للمقارنة بين الماضى والحاضر .

ويعتبر البعض هذا الفيلم هو البداية الحقيقية للسينما المصرية كصناعة وطنية ، خاصة وانه أول فيلم مصرى روائى تمثله وتنتجه فنانة مصرية .

وخلال تلك الفترة كان طلعت حرب قد تبنى فكرة قيام بنك مصر

---

(١) الأهرام فى ١٠ يوليو١٩٢٥ تحت عنوان التعليم بالسينما فى المدارس الأميرية.

(٢) اسمها الحقيقى مفيدة محمد .

(٣) على شلش : النقد السينمائى فى الصحافة المصرية نشأته وتطوره ، القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ص ٤٦ – ٤٧ .

بتأسيس شركة مصر للتمثيل والسينما رغبة منه فى تمصير هذه الصناعة بعد أن سيطرت العناصر الأجنبية على مقدراتها ونتيجة لذلك تم افتتاح هذه الشركة [١] فى ٢٩ مارس ١٩٢٧ كم تم استيراد المعدات اللازمة لاخراج الصور المتحركة ، وتحميض الأشرطة وطبعها وإلى جانب ذلك فقد أوفد طلعت حرب كوكبة من الشباب المصرى إلى أوربا لينهلوا من منابع الفنون بها ، ويكونوا دعامة للخبرات الوطنية فى صناعة السينما تستطيع كسر احتكار الأجانب للسينما ، وإقامة صناعة سينمائية مصرية صميمة ففى عام ١٩٣٣ تم ارسال أول بعثة سينمائية إلى أوربا ، وكانت مكونة من أربعة من الشبان وهم أحمد بدرخان و موريس كسّاب لدراسة الاخراج فى باريس ، ومحمد عبد العظيم لدراسة فن التصوير فى برلين وحسن مراد لدراسة فن اعداد الجرائد السينمائية فى ايطاليا وفرنسا وألمانيا ، وانضم الى هؤلاء بعد ذلك المصريون الراغبون فى دراسة فن السينما بالخارج على نفقتهم الخاصة ومنهم نيازى مصطفى ، ومصطفى والى [٢] .

ومع تحمس طلعت حرب لإنشاء هذه الشركة ، ورغبته فى تطويرها وتقدمها ، وعلى الرغم من نمو الرأسمالية الوطنية فى ذلك الوقت وتزايد قوتها تعامل طلعت حرب بعقليته الاقتصادية خلال التعاقد على انتاج الأفلام وتسيير أمور الشركة خشية التعرض للخسارة وتفادياً لغضب المساهمين فلم يقبل على استثمار أموال بنك مصر فى السينما إلا بحذر [٣] ، كما أنه لم يتسرع فى السير فى انتاج الأفلام بخطى سريعة بل كان من رأيه أن صناعة السينما صناعة متعددة الجوانب واسعة الأطراف وانه من الحكمة التدرج فيها

---

(١) كانت فى بدايتها مبنى تابع لشركة اعلانات مصر ، وكان مقره فوق مبنى مطبعة مصر فى شارع نوبار .

(٢) العربى فى يونيو ١٩٩٥ مقال للاستاذ فؤاد قنديل عن ستوديو مصر .

(٣) مجلة الصباح فى ٢٧ / ٨ / ١٩٢٨ .

فيؤخذ بالبسيط من عناصرها أولا حتى إذا تم اتقانه أمكن الإنتقال الى مرحلة اخرى تصل الشركة فى نهايتها إلى عرض الروايات فى صور متحركة على الشاشة البيضاء أمام المشاهدين .

وعلى الرغم من تفاؤل طلعت حرب بمستقبل زاهر للسينما المصرية ورغبته فى أن تكون روايتها مصرية خالصة ، وأن يكون القائمين عليها من المصريين (١) فقد حذر من خطرها على الأخلاق إذا عرضت صورا غير لائقة بين الناس ، أو إذا ظهرت الجرائم على الشاشة وكيف تدبر ، والجنايات وكيف ترتكب لما فى ذلك من خطر على الأجيال الناشئة عند مشاهدة هذه الروايات (٢) كما رأى أن الخطة المثلى لمقاومة ظاهرة سلبيات السينما هى أن تكون شركة مصر للتمثيل والسينما « قادرة على اخراج روايات مصرية ذات موضوعات مصرية وآداب مصرية وجمال مصرى تكون فى منزلة عالية من الفن ... وتكون أقرب لعاداتنا وطقوسنا وأحوالنا الاجتماعية من الروايات الأجنبية ... التى كثيراً ما تحوى حوادثها ومناظرها ما لا يتفق وعاداتنا وآدابنا الشرقية (٣) .

وعلى الرغم من ذلك ، ومع أن طلعت حرب كان من أشد المدافعين عن الحجاب ، ومن أشد المعارضين لقاسم أمين بعد صدور كتابه « تحرير المرأة »

---

(١) انظر ملحق الدراسة تحت عنوان خطبة طلعت حرب عن قوة السينما وطريقة استخدامها فى مصر .

(٢) فتحى رضوان : طلعت حرب . بحث فى العظمة ، القاهرة ، دار الكاتب العربى ١٩٧٠ ، ومن الذين حذروا من خطورة السينما على الذوق والخلق أيضا الدكتور طه حسين فقد اعتبرها خطراً على فن المسرح وعلى الذوق والخلق والكتاب .

انظر ، مستقبل الثقافة مرجع سابق ص ٥١٧ .

(٣) انظر الملحق .

فانبرى له يرد على دعوته إلى السفور ونبذ الحجاب [١] فإنه كان يعلم جيداً أن المسرح والسينما بدون الممثلات لا وجود له [٢] ومع أن موقف طلعت حرب فى الأمـــرين يبدوا متناقضاً فاننا نرى أنه ليس من العيب ان يراجع المرء نفسه ، وأن يعـيـد النظر فـى رأيه إذا رأى فى ذلك مـا يتناسـب مع تطور المجـتـمع أو تطلعاته .

ومن أبرز الأفلام التى تعاقدت شركة مصر للتمثيل والسينما على انتاجها بعد تشجيع يوسف وهبى لها على خوض هذه التجربة ، والتى عبّرت عن طبيعة المجتمع المصرى فى الثلث الأول فى هذا القرن ، ووصفت حياة الريف وما فيها من خزعبلات وتقاليد جامدة ، واستباحة لحرية المرأة فى اختيار الزوج كان فيلم « زينب » المأخوذ عن قصة الدكتور محمد حسين هيكل التى نشرت فى عام ١٩١٤ [٣] تحت عنوان « زينب – مناظر وأخلاق ريفية » ورحب بفكرة تحويلها إلى فيلم سينمائى دون أى مقابل [٤] .

وهذه القصة تعد أول رواية عربية حديثة تتكامل فيها العناصر الفنية وتتحول إلى فيلم مصرى يعاد انتاجه مرتين صامتا مرة وناطقا بل وغنائيا مرة أخرى [٥] ، ويقوم باخراجه فى المرتين محمد كريم .

---

(١) لتفاصيل ذلك انظر ابراهيم عبده وعلى عبد العظيم : تذكار محمد طلعت حرب القاهرة ، مكتبة الآداب ، ١٩٤٥ ص ٥٣ .

(٢) فتحى رضوان : مرجع سابق ص ١٣٤ .

(٣) نشرت أيضا ضمن إصدارات مكتبة الأسرة فى عام ١٩٩٤ .

(٤) الحضرى : مرجع سابق ص ٣٢٣ .

(٥) تم ذلك فى عام ١٩٥٢ أما الفيلم الصامت فقد تم اخراجه فى عام ١٩٣٠ ومثل فيه بهيجة حافظ فى دور زينب ، وسراج منير فى دور حبيبها وزكى رستم فى دور زوجها أما دولت أبيض فقد مثلت دور أمها .

وبالنسبة للفيلم الناطق فقد ظهرت الممثلة راقية ابراهيم فى دور زينب ، كما مثل فى هذا الفيلم يحيى شاهين ، والسيد بدير ، وعبد الوارث عسر ، وفريد شوقى ، وسليمان نجيب ، وفردوس محمد والمطربة شهر زاد .

وعلى الرغم من الظروف الصعبة ، وضعف الامكانات فى تلك المرحلة فقد خطت السينما المصرية بهذا الفيلم خطواتها الأولى .

والموضوع عبارة عن قصة رومانسية اتخذت من الريف والفلاحين موضوعا تجعل من يقرأه وكأنه يعيش فى الريف ، ويشم رائحه اهله وأرضه وزرعه ، كما اتخذت من « كفر غنام » مكانا .

وقد وصف هيكل فى هذه القصة حياة الريف ، وشقاء الفلاح الأجير الذى يسلبه الفقر حريته ، وتمرد زينب تلك الفتاة الهوائية فى عواطفها على تلك التقاليد الجامدة وذلك بعد أن رفض أهلها زواجها بالفتى القروى الذى أحبته ورغبتهم فى تزويجها من غيره مما جعلها تتمرد على التقاليد وتقابل حبيبها سرا حتى بعد زواجها ولما أبى القدر عليها ذلك وانتزع منها حبيبها نتيجة لذهابه لتأدية الخدمة العسكرية عانت من هذا الفراق حتى أصيبت بالسل وقضت نحبها على فراش الألم والدماء تنزف من فمها كما حدث لغادة الكاميليا .

وعن الممثلين الذين أدوا أدوارهم فى هذا الفيلم فمن المنطقى القول أنهم كانوا من الهواة الذين لم يسبق لهم ممارسة فن السينما ، والذين ارتبط بعضهم بأعماله الخاصة مما جعل المخرج محمد كريم يجد صعوبة فى تدريب البعض منهم يضاف إلى ذلك انه نتيجه لأن ظهور المرأة على شاشة السينما – فى ذلك الوقت – كان يعد تهتكا وعارا ، وإن تأثير الحجاب والعادات جعل تمثيل الرجال مع النساء فى السينما من المحرمات (١) فقد وجد المخرج صعوبة بالغة فى إسناد دور زينب إلى ريفية ، مما جعله يعلن فى الجرائد عن

---

(١) تعقدت مشكلة ظهور المرأة المصرية فى السينما بعد أن أوضح البعض أن ذلك انحراف خلقى يحرمه الدين ، وأنه من الصعب السماح بمناظر التقبيل فى السينما وأن من يفعل ذلك من الفتيات لن يتزوجن لأن الرجل المسلم لا يقبل أن يرى زوجته فى أحضان رجل آخر ، وانه اذا أرادت السينما ممثلات فليكن من الأجانب .

أن تتقدم فتاة لتمثيل هذا الدور ، وإلى جانب ذلك فقد ناشد السيدة هدى شعراوى يدعوها إلى تشجيع الفتيات على الاندماج فى سلك التمثيل السينمائى وأن تكون عونا لهذا الفن إذ على تشجيعها « يتوقف نجاح الفيلم المصرى وبكلمة منها يقضى عليه أو يكون فتحا جديداً (١) وعلى الرغم من تشجيع هدى شعراوى لاقبال المرأة على العمل الفنى (٢) فإن إقبال النساء على ولوج فن السينما كان نادراً (٣) خاصة وان المثقفات منهن لم يشتركن فى النهضة السينمائية منذ بدايتها (٤) .

ومع ذلك ، وعلى الرغم من تقاليد التى تحرم على المرأة العمل فى السينما فإن عجلة التطور دفعت ببعض الفتيات المصريات إلى إثبات وجودهن ، وإلى رغبتهن فى القيام بادوار سنيمائية مثل الأوربيات والشاميات والأرمينيات فظهرت بهيجة حافظ احدى بنات الطبقة الراقية والتى تنتمى إلى طبقة الباشوات (٥) وتقدمت صفوف النساء الراغبات فى ولوج هذا الفن

---

(١) مجلة الدنيا المصورة فى ٢٤ يوليو ١٩٢٩ .

(٢) السيدات والرجال فى يناير ١٩٣٠ ص ٥٨ .

(٣) يذكر يوسف وهبى فى مذكراته أنه نتيجة لعدم توفر العنصر النسائى خلال الاعداد لتمثيلية روميو وجوليت أنه تم توزيع دور جوليت على ابن احد الأعيان وكان من غلاة المتمسكين بالتقاليد ، وعتاه الرجعيين الذين يعتبرون فن التمثيل رجسا من عمل الشيطان . ولما علم والد هذا الشاب بأن ابنه يقوم بدور أنثى قام بصفعه على الملأ وإلى جانب ذلك فقد اقتصر الدور النسائى فى السينما على الممثلات الأجنبيات خاصة الأرمنيات لمدة تزيد عن ربع قرن .

– انظر مذكرات يوسف وهبى ، القاهرة دار المعارف ص ٢٤ .

(٤) الدنيا المصورة فى ٢٢ / ٥ / ١٩٢٩ تحت عنوان حديث مع محمد كريم .

(٥) والدها اسماعيل باشا حافظ . انظر مجلة معرض السينما فى ١٩٢٩/٣/٣١ تحت عنوان حديث مع محمد كريم مخرج رواية زينب والجدير بالذكر أن بهيجة حافظ كانت تهوى عزف الموسيقى وكانت كثيرة الأسفار إلى أوربا وقد أسست شركة سينمائية باسم « منار فيلم » انظر جريدة الصباح فى ٢٩ / ١٠ / ١٩٢٨ .

ومثلت دور زينب متطوعة وبلا أجر رغبة منها فى ممارسة فن التمثيل والإعلاء من شأنه ، كما ظهرت كثيرات بعد ذلك [١] وفرض الواقع نفسه ، وأصبح من النساء من يقلدن الممثلات فى أدوارهن ويتردد على السينما ويتحدث عن الممثلات ويصف تمثيلهن لمشاهد الحب والغرام .

والسؤال المطروح هو لماذا تقدمت المرأة الحضرية بنت الذوات إلى مجال السينما قبل المرأة الريفية .

الواقع أن حركة تحرير المرأة فى مصر بدأت بالطبقات الراقية الى أراد بناتها الانطلاق من قوقعتهن ونزع الحجاب خاصة وانهن كن الوحيدات المحجبات والمعزولات فى الحريم بينما لم تلبس الفلاحة الحجاب ولم تكن فى عزلة بل كانت تعمل مع زوجها فى الحقل جنبا إلى جنب .

وإلى جانب ذلك فإن معظم بنات الطبقة الراقية كن مثقفات وعلى علم بأحوال المرأة الأوربية وما هى عليه من تحرر بينما كانت المرأة الريفية غير مثقفة كما كانت مثقلة بالتقاليد الريفية الجامدة مما أدى إلى تأخرها عن ركب الالتحاق فى مجال السينما . ونتيجة لذلك انطلقت بنات الطبقة الراقية من عزلتها تحت دافع اثبات وجودهن فى السينما .

---

(١) من هؤلاء عزيزة أمير (مفيدة محمد) وآسيا داغر التى أسست شركة سينمائية باسم لوتس فيلم ، وفاطمة رشدى ، واحسان صبرى وغيرهن من الفتيات المصريات

هذا عن الممثلات فماذا عن الممثلين وما هى جذورهم الاجتماعية وهل أخذ أبناء الطبقتين الوسطى أو الصغرى زمام المبادرة أم سبقتهم ابناء الأثرياء الى ذلك .

الواقع أنه على الرغم من أن طبقة الذوات فى مصر كانت تعتبر امتهان الفن من العيوب التى لا تليق بابناء الذوات فان نفوس بعض ابنائهم الجياشة تطلعت إلى ممارسة هذا الفن وتحمست له بعيدا عن تعقيدات طبقتهم فسراج منير ابن احد الأثرياء والذى درس الطب فى برلين ، وكان موظفا كبيرا باحد الوزارات [١] كان من أوائل الذين شاركوا فى العمل السنمائى ، وكان النجم البارز فى فيلم زينب ويوسف وهبى - ابن مهندس الرى عبد الله وهبى الذى كان يمتلك آلاف الأفدنة بالفيوم والذى تحمل اسمه احدى الترع بالفيوم - ضحى بماله ومستقبله من أجل النهوض بالسينما والمسرح ونتيجة لتحول السينما من مرحلة الفيلم الصامت إلى مرحلة الفيلم الناطق فى عام ١٩٣٢ والذى كان نصراً كبيرا لصناعة الصور المتحركة تحول رجال المسرح إلى السينما باذلين فى ذلك الوقت كل مرتخص وغال فأنتج يوسف وهبى شريطا ناطقا باسم أولاد الذوات بالاشتراك مع أمينة رزق [٢] وظهرت الأغانى فى الأفلام فنزل محمد عبد الوهاب بأشرطة « الوردة البيضا » فى عام ١٩٣٣ ثم « يوم سعيد » و « دموع الحب » و « يحيا الحب » و « رصاصة فى القلب » وكذلك نزلت أم كلثوم بشريط « نشيد الأمل » وغيره وأعقب ذلك ظهور ليلى مراد ورجاء عبده وفريد الأطرش ونور الهدى ونجاة وعبد العزيز محمود وغيرها مما دفع بالانتاج السينمائى إلى الأمام وأدخل الموسيقى العربية فى مرحلة جديدة أخضعتها لضرورات الفن السينمائى وأصبحت جزءا لا يتجزأ

---

(١) مجلة معرض السينما فى ٣١ / ٣ / ١٩٢٩ تحت عنوان حديث مع محمد كريم مخرج رواية زينب .

(٢) أخرج محمد كريم هذا الفيلم ، وكان أول فيلم مصرى ناطق مائة فى المائة .

من الحدث الدرامى نفسه مما زاد من اقبال الجمهور على الأفلام التى كانت تبهره وتضفى عليه لحظات ترضى مزاجه . وخلال ذلك قام الاقتصادى المصرى محمد طلعت حرب بافتتاح ستديو مصر فى ١٢ من أكتوبر ١٩٣٥ (١) مما كان له أثره فى تطوير صناعة السينما المصرية ، وفى صياغة وتشكيل ملامحها ، وفى تشجيع الطاقات الفنية والقدرات الحرفية ذات الموهبة والخبرة على الإلتحاق بهذا العمل ، وفى خروج الفيلم المصرى إلى الخارج ، وانتشار اللهجة المصرية فى البلاد العربية ، وظهور المجلات السينمائية واستقبال الفيلم المصرى لمطربى وفنانى البلاد العربية ، وظهور الفيلم الغنائى (٢) وقد بدأ ستديو مصر بانتاج أول أفلامه فى عام ١٩٣٦ بالفيلم الغنائى الكبير « وداد » الذى كتبه الشاعر أحمد رامى وكانت البطولة لأم كلثوم وأحمد علام والاخراج « لفريتز كرامب » الألمانى ومساعده المصرى جمال مدكور ، وخلال ذلك حاولت السينما المصرية أن تعكس المشكلات الاجتماعية خاصة العلاقة بين الرجل والمرأة فى شتى صورها كالحب والزواج والصداقة والخيانة الزوجية فظهرت أفلام « غرام وانتقام » ليوسف وهبى و « فاطمة » لأحمد بدرخان وحاولت السينما معالجة مشاكل الإدمان وتعاطى المخدرات والطفولة المشردة ومشاكل العمل والعمال فظهرت أفلام « ابن البلد » ، و « العامل (٣) » لحسين صدقى فى عام ١٩٤٣ ، والأبرياء الذى قامت ببطولته رجاء عبده مع حسين صدقى فى بداية الخمسينات ، وتطرق الى مضار الطفولة المشردة على المجتمع المصرى ، وحاولت أن تبرز مشكلات البيئة المصرية وإبراز الشخصيات الشعبية مثل « الجزار » و « الفران »

---

(١) أقيم لذلك مهرجان ضخم حضره اكثر من خمسمائة مدعو من الشخصيات السياسية والمالية والفنية والأدبية ، وبعض رجال الصحافة .

(٢) على شلش المرجع السابق ص ٤٩ .

(٣) تعرض هذا الفيلم للمصادرة .

و « الحانوتى » ، فظهر أفلام « العزيمة » ، و « بياعة التفاح » و « طاقية الاخفاء » كما بدأت فى انتاج افلام كوميدية مثل « سلامة فى خير » لنجيب الريحانى وإلى جانب ذلك فقد وجد السينمائيون فى التاريخ مجالاً خصباًلأعمالهم ، فأخذ السينمائى من التاريخ ما يريده وصاغه صياغة فنية درامية هدفها تشويق الناس ، واشباع رغباتهم أكثر من كونها ترسيخا لحقيقة أو ابرازا لواقع ، أو التزاما بأحداث التاريخ الصحيح .

ومع اعترافنا بأن ترويج الأحداث التاريخية عن طريق السينما يحث الخاصة والعامة على الإقبال عليها دون سأمة أو ملل ، وأن زخرفته فى قالب درامى يزيد الاقبال من الناس على مشاهدتها فاننا نرى أن الدرامى الناجح يجب ألا يلوى عنق الحقيقة التاريخية ، ولا ينحرف بمسارها ، وانما عليه صياغتها دراميا بطريقة مدعمة بالحقيقة ، ومزينة بالمتعة الفنية وأن يتناول الواقع من خلال رؤية موضوعية لهذا الواقع وأن يسعى لتوخى الدقة التاريخية فى رسمه للأحداث والشخصيات خاصة وأن أساتذة التاريخ لا يهمهم من الفيلم السينمائى سوى تحويله إلى وثيقة يمكن عن طريقها جعله وسيلة تعليمية ناجحة توضح لمشاهديها أحداث مرحلة معينة من التاريخ بصدق وموضوعية ومن أوائل الأفلام التى استوحت موضوعاتها من التاريخ فيلم « شجرة الدر » الذى ظهر فى عام ١٩٣٥ ، وفيلم صلاح الدين الأيوبى الذى ظهر فى عام ١٩٤١ ، وفيلم مصطفى كامل الذى ظهر فى أوائل الخمسينات ومنع عرضه فبيل ١٩٥٢ ولم ير النور إلا بعد قيام الثورة ، وفيلم جميلة الجزائرية الذى ظهر فى عام ١٩٥٩ ، والناصر صلاح الدين الذى ظهر فى عام ١٩٦٣ .

وبفضل ستوديو مصر زادت شركات الإنتاج وزاد عدد الأفلام من ٣ أفلام فى عام ١٩٢٧ إلى ١٧ فيلما فى عام ١٩٣٧ وقد أدى ذلك إلى بناء ستوديوهات أخرى ظهرت بعد ذلك مثل لاما (١) وناصيبيان (٢) .

ومع ذلك وعلى الرغم من الانتعاش المفتعل الذى برز فى اعقاب الحرب العالمية الثانية ، وعلى الرغم من تطور السينما المصرية وارتفاع انتاجها وتعلق الناس بها أكثر من المسرح لبساطة تعبيرها ، وبالرغم من نجاح عرض بعض الأفلام المصرية فى البلدان العربية فان السينما المصرية كان تدار من قبل بعض أثرياء الحرب الذين لا يعتبرونها صناعة وطنية بل كان هدفهم تملق الجمهور أكثر من اللازم بقصد الربح والأغراض التجارية ونتيجة لذلك اقتصرت الحركة السينمائية على أفلام الامتاع والتسلية وقصص الحب والغرام ، وحياة القصور التى افتعلها أثرياء الحرب ، ولم تتطرق إلى واقع مصر الاقتصادى أو السياسى أو الاجتماعى . وقد شجعهم على ذلك اقبال دفعة جديدة من الجمهور على ارتياد السينما وهى فئة عمال المعسكرات الإنجليزية ومما سبق يتضح ان السينما المصرية قبل انشاء ستوديو مصر كانت مجرد جهودا فردية متناثرة وان تمتع اصحابها بالموهبة والادارة والاخلاص ، وان افلام هذه الفترة كانت عبارة عن تشكيله هدفها ارضاء كافة الأذواق.

---

(١) الاخوان لاما من أصل لبنانى ، وكان أول أفلامهما « قبلة فى الصحراء » .

(٢) الهلال : دراسة جلال الشرقاوى سابقة الذكر ص ٤٢ .